قمة «بورتو اليجرى»

تبدأ مرحلة جديدة من الهجوم المضاد للعولمة

والدن بيللو

«بورتو اليجرى» ليست بالضبط إحدى مدن العالم الثالث ، فهى تقع فى ولاية «ريوجراند دى سول» ، أكثر الولايات البرازيلية ازدهاراً ، يقطنها عدد كبير من الأوروبيين . يبلغ عدد سكانها نصف مليون . وتتمتع ببنية أساسية وخدمات اجتماعية كالتى تتمتع بها مدن العالم الأول . وتقف فى الحقيقة فى مصاف أرقى المدن من زاوية نوعية الحياة .

عالم مختلف .. أمر ممكن :

«بورتو اليجرى» ، التى شهدت فى العام الماضى ، وفى العام الحالى ، اجتماعات المنتدى الاجتماعى العالمى ، أصبحت مثالا للروح المزدهرة للحركة المناهضة للعولمة . من المتوقع أن يحتشد حوالى ٧٠ ألف إنسان ، فى الفترة من ٣٠ يناير إلى ٤ فبراير ، تحت شعار «عالم مختلف .. آمر ممكن» . ويمثل هذا العدد ستة أضعاف من تجمعوا فى بورتو اليجرى العام الماضى (٢٠٠١) .

من بين من سيشاركون فى بورتو اليجرى «صيادون من الهند» وفلاحون من شرق أفريقيا ، وأعضاء نقابات عمالية من تايلاند ، وسكان أصليون من وسط أمريكا. ولكن ، من المحتمل أن يكون هناك عدداً كبيراً من بلدان الشمال . وسيتشرف المكان بشخصيات جاءت لتمثل التباينات فى الحركة المناهضة للعولمة التى تقودها النركات الكبرى ، منهم المفكر المعروف «ناعوم شومسكى» ، والفيلسوفة الهندية والزعيمة النسوية «فاندانا شيفا» ، و «مودبارلو» المحامى الشعبى الكندى ، والمفكر المصرى «سمير أمين» .

نقيض «دافوس» :

نشأ المنتدى الاجتماعى العالمى فى مواجهة المنتدى الاقتصادى العالمى «دافوس» ، التجمع السنوى المعبر عن مصالح الشركات العالمية فى «دافوس» بسويسرا. نشأ المنتدى الاجتماعى العالمى بمبادرة من تحالف منظمات المجتمع المدنى البرازيلى ، وحزب العمال الذى يسيطر على كل من «بورتو اليجرى» وعلى ولاية «ريوجراند دى سول» . حصلت الفكرة على دعم دولى ضخم من جانب منظمات مثل «الموند دبلوماتيك» الشهرية الفرنسية ، وشبكة «أتاك» ، ذات التأثير الواسع فى أوروبا ، الخاصة بفرض ضريبة على الحركة العالمية للأموال المضاربة ، كما تتلقى دعما ماليا من متبرعين تقدميين مثل «نوفيب» ، المنظمة الهولندية من أجل التنمية الدولية .

أدت هذه الطاقات إلى عقد المنتدى الاجتماعى العالمى الأول الذى استغرق الإعداد له ثمانية أشهر فقط .

عقدت التليفزيونات مناقشات عبر الأطلنطى بين ممثلى المنتدى الاجتماعى العالمى ، وبعض الشخصيات الشهيرة المشاركة فى المنتدى الاقتصادى العالمى ، نشرتها «التايمز فاينانشيال» كوجهتى نظر متعارضتين تمثلان عالمين متناقضين .

إحداهما تمثل قمة أثرياء العالم ، والأخرى تمثل الجماهير العريضة المهمشة. أكثر ما يمكن أن يتذكره المرء ، لحظة المواجهة ، حينما صاح «هيب دى بونافينى» ممثل الحركة الأرجنتينية لحقوق الإنسان ، فى وجه المالى المعروف «جورج سوروس» قائلاً : «أنت منافق ، كم من الأطفال أنت مسئول عن موتهم ؟» ...

ازدهر المنتدى الاجتماعى العالمى منذ اجتماعه الأول ، بينما تدهورت مكانة المنتدى الاقتصادى العالمى . الآن ، يتخذ المنتدى الاقتصادى موقفا دفاعيا ، وهو المنتدى الذى يناقش «كيفية الحفاظ على الهيمنة علينا» على حد قول أحد المحاورين فى المنتدى الاجتماعى العالمى .

هذا ، وقد طلبت الحكومة السويسرية من المنتدى الاقتصادى العالمى ألا يجتمع فى «دافوس» من منطلق أنها لا تستطيع حماية أمن المشاركين فيه ، ففى العام الماضى ، كانت عملية منع المتظاهرين من دخول «دافوس» ، أكبر عملية للأمن السويسرى بعد الحرب العالمية الثانية ، وتتخذ السلطات إجراءات أمن غير مسبوقة وتعانى من الرعب فى أعقاب أحداث ١١ سبتمبر . نتيجة لذلك ، يعقد المنتدى الاقتصادى العالمى اجتماعاته هذا العام فى نيويورك ، ولولا ذلك لكان المنتدى الاقتصادى العالمى قد طواه النسيان . ويقول الكثير من المراقبين أن «دافوس» الواقعة فى قمة الجبال السويسرية قوة جذب أساسية لمديرى الشركات .

يدور اجتماع بورتو اليجرى هذا العام فى ٢٦ جلسة مفتوحة على مدى أربعة أيام . للحوار حول أربعة موضوعات : «إنتاج الثروة وإعادة الإنتاج الاجتماعى» ، و«حرية الوصول للثروة والتنمية المستدامة» ، و«المجتمع المدنى والمعترك العام» و«النفوذ السياسى والأخلاقياته فى المجتمع الجديد» ، هذا فضلاً عن حوالى خمسة آلاف ورشة عمل . وتنظيم مسيرات وتظاهرات للعمال والفلاحين ، تنظمها المنظمات الجماهيرية البرازيلية (الاتحاد المركزى للعمال) و (حركة فلاحون بلا أرض) ، وهما المنظمتان الأساسيتان فى منظمات المنتدى الاجتماعى العالمى ..

عام مضطرب :

تجتمع القوى المناهضة للعولمة فى «بورتو اليجيرى» بعد عام مضطرب . قد تكون ذروة الحركة المناهضة للعولمة تبدت فى اجتماع مجموعة الثمانية الذى عقد

فى جنوه فى الأسبوع الثالث من شهر يوليو الماضى (٢٠٠١) ، حينما تظاهر حوالى ٣٠٠ ألف فى مواجهة مع البوليس الذى تصدى لهم بالغازات المسيلة للدموع . وبعد وقت قصير من صدامات «جنوه» التى قتل البوليس فيها أحد المتظاهرين ، كانت الصحافة العالمية تتوقع أن من الممكن ألا يسمح مستقبلاً بتجمع هذه النخب فى بلد غير سلطوى . وفى الواقع ، تقدمت كندا بطلب لعقد اجتماعات قمة الثمانية القادمة فى منتجع فى قلب الصخور الكندية فى منطقة «ألبرتا» ، ويكشف بوضوح حقيقة أن النخبة العالمية تهرب بهذا القرار من ديمقراطية الشوارع .

حينما جاءت أحداث ١١ سبتمبر ، توقف اندفاع حركة المقاومة وتعثرت فى مسارها . بعد أن كان من المتوقع أن تكون المجابهة الكبيرة التالية بين مؤسسات العولمة ومعارضيها ، فى أواخر سبتمبر فى واشنطن ، خلال الاجتماع السنوى للبنك الدولى وصندوق النقد الدولى . وألغى توأم «بريتون وودز» اجتماعهما تحت صدمة ١١ سبتمبر ، خوفا من الاحتجاجات الضخمة التى كان متوقعا لها أن تستمر لمدة أسبوع وأن يشارك فيها ٥٠ ألف معارض. واحتراما للمشاعر العامة للشعب الأمريكى، ألغى المنظمون الاحتجاجات ، ونظموا بدلاً منها مسيرة من أجل السلام .

استغلت مؤسسات العولمة الظروف غير المتوقعة ، لتواجه أزمة المشروعية التى نالت منها قبل ١١ سبتمبر ، وذلك بالضغط على البلدان النامية كى توافق على بدء جولة من المفاوضات التجارية خلال المؤتمر الوزارى الرابع لمنظمة التجارة العالمية الذى عقد فى الدوحة بقطر ، فى منتصف نوفمبر الماضى ، وقالت لحكومات العالم الثالث أنها إذا لم توافق على مباحثات للمزيد من تحرير التجارة ، فأنها سوف تكون مسئولة عن زيادة الركود العالمى الذى يمضى على نحو متسارع منذ الهجوم على مركز التجارة العالمى .

عملت سكرتارية منظمة التجارة العالمية والسلطات القطرية على تحديد عدد المنظمات غير الحكومية التى حضرت الاجتماع إلى حوالى السدس . وأمن ذلك عدم حدوث مظاهرات شوارع كالتى حدثت فى سياتل ، وهو ما دفع أحد البلدان النامية البارزة للثورة فى مركز المؤتمر بالشيراتون للقول بأننا لم نحضر فى مؤتمر الدوحة ، وفى ظل هذه الظروف ، أنهارت مقاومة البلدان النامية .

انقلاب الاقدار :

يأتى اجتماع المنتدى الاجتماعى العالمى فى ظل تغيرات عالمية . فقد ارتفعت شعبية إدارة «بوش» بعد حربه العدوانية ضد أفغانستان . علاوة على ذلك ، ففى الأسابيع القليلة الماضية ، مكر التاريخ كعادته ، وتلقت واشنطن ضربتين : كارثة «إنرون» وانهيار الاقتصاد الأرجنتينى .

أصبحت «إنرون» رمزاً لقذارة المزيج المتطاير للفساد وانتهاك القوانين ، التى قادت الاقتصاد الأمريكى فى التسعينات ، وتدفعه إلى ما يمكن أن يكون أسوأ ركود عالمى منذ الثلاثينات .

تحت ضغط عدم القدرة على تسديد الديون الأجنبية البالغة ١٤٠ مليار دولار ، واضطراب الصناعة ، وسقوط العديد من مواطنيها تحت خط الفقر ، لفتت الأرجنتين الانتباه إلى الكارثة التى تنتظر البلدان التى تأخذ سياسات الليبرالية الجديدة مأخذ الجد، وتسترشد بها فى لبرلة وعولمة اقتصادياتها .

فى الوقت الذى يبدأ فيه المنتدى الاجتماعى العالمى ، تعيد هاتين الكارثتين بعنف أزمة الشرعية التى شهدتها النخب العالمية ، كما شاهدها مشروعها من أجل العولمة ، والتى سبقت أحداث ١١ سبتمبر . فى هذا الوقت ، تحتل «بورتو اليجرى» موقفا فعالاً ، وتقدم نموذجاً لحركة فعالة من حركات الفاع المضاد التى تعتقد أن «عالم مختلف .. آمر ممكن» .

النص الأصلى للمقال بالإنجليزية على موقع WWW.FOCUSWEB.ORG

يناير ٢٠٠٠

obeikandl.com